إسهام محمد بن أبي شنب في تحقيق التراث التاريخي العربي

أ.د عبد القادر بوباية
جامعة وهران السانية

مقدمة:

يعتبر محمد بن العربي بن محمد بن أبي شنب رائدًا من رواد نشر التراث العربي بالجزائر، وقد ساهم بقسط كبير في نشر كثير من المخطوطات العربية التي كانت تزخر بها خزائن الكتب بالجزائر، ومن أبرزها كتاب البستان لابن مريم سنة 1908م، ورحلة الحسين الورثيلاني سنة 1908م، وعنوان الدراية للغبريني سنة 1910م، وتدميث التذكير في التأنيث والتذكير، وهي منظومة لبرهان الدين الجعبري سنة 1911م، وطبقات علماء إفريقية لأبي العرب في جزأين سنتي 1915 و1920م، والذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية سنة 1920م، والفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لابن قنفد القسنطيني، وطرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار لمؤلفه الشيخ محمد العربي المشريفي الغريسي، ووصايا الملوك وأبناء الملوك من أولاد الملك قحطان بن هود النبي، وطبقات علماء إفريقية لمحمد بن الحارث الخشني، وشرح ديوان علقمة للأعلم الشنتمري سنة 1925م، وشرح ديوان عروة بن الورد لابن السكيت سنة 1926م، وشرح شواهد جمل الزجاجي في النحو سنة 1927م، وتحبير الموشين في التعبير بالسين والشين للفيروز آبادي سنة 1927م، وشرح الشنتمري لشعر امرئ القيس، وشرح ديوان عبد يغوث(نويهض ع. 1403هـ- 1983م:190- 191/ الزركلي، خ. 1995:ص 266- 267).

وتعتبر في مجملها من المصادر الرئيسة في دراسة تاريخ المغرب الإسلامي، وبخاصة في جانبه الحضاري إذ أن أغلبها يتناول بالدراسة الحركة العلمية التي شهدتها بلاد المغرب، ومن خلال ذلك ندرك الدور الكبير الذي قام به ابن أبي شنب إذ وفر للباحثين جملة من المصادر الضرورية جدا لإنجاز بحوثهم ودراساتهم.

فما هي أبرز المصادر العربية التي قام ابن أبي شنب بتحقيقها ونشرها؟ وما هي المكانة التي تحتلها هذه الكتب التي نشرها في الدراسات التاريخية؟ وما هو المنهج الذي اتبعه في تحقيقه للتراث العربي؟ تلك هي جملة التساؤلات التي سنحاول الإجابة عنها من خلال هذه المقالة.

أبرز المصادر العربية التي قام ابن أبي شنب بتحقيقها وأهميتها:

1- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي نسبًا، المديوني أصلا، التلمساني ولادة ومنشأ ووفاة، والذي كان بقيد الحياة سنة 1025هـ- 1611م(ابن مريم م.1986م:ص2/نويهض ع.1403هـ- 1983:ص292).

احترف ابن مريم التعليم واشتغل بالتأليف حيث ألف أثنا عشر مؤلفا معظمها في حكم المفقود باستثناء كتاب البستان الذي ترجم فيه لاثنين وثمانين ومائة عالم وولي ولدوا بتلمسان أو عاشوا بها(ابن مريم م.1986م: 3).

وعن هدف تأليفه يقول المؤلف ردا على من طلب ذلك: "فقد طالعت ما أشرتم به علي من ذلك التأليف الأبرك المتضمن جمع أولياء تلمسان وفقهائها الأحياء منهم والأموات وجمع من كان بها وحزها وعمالتها فأسعفتكم بما طلبتم"(ابن مريم م.1986م:ص5).

رتب المؤلف تراجم العلماء الذين أورد لهم تراجم تختلف تبعا لحجم العلم المترجم له على حروف الهجاء بداية من اسم أحمد(ابن مريم م.1986م:صص8- 307)، وانتهى من تأليفه سنة إحدى عشرة وألف بمدينة تلمسان(ابن مريم م.1986م:ص314).

يعتبر هذا الكتاب مصدرًا بالغ الأهمية في دراسة الحياة العلمية والثقافية بمدينة تلمسان خاصة، والمغرب الأوسط عامة نظرًا لحركة العلماء، وترددهم على حواضر العلم والثقافة خلال العصر الوسيط.

2- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لمؤلفه أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني البجائي المتوفى عام 704هـ/1304م.

يعتبر الكتاب مرجعًا هامًا لكتاب التراجم من بعده، حيث اعتمدوا عليه في الترجمة لعلماء بجاية ونواحيها خلال القرن السابع الهجري، ويعد الكتاب بحق أثرًا علميا نفيسا يكشف لنا عن الازدهار العلمي والأدبي ببجاية خاصة والمغرب الأوسط عامة، كما يطلعنا الكتاب على النشاط الدراسي الذي يتبعه أهل هذه المناطق في طلبهم للعلوم والآداب، وبالتالي فهو مصدر أساسي لمؤرخي الأدب والحياة العقلية في هذه الفترة(الغبريني أ.1981م:ص33- 34).

أشار المؤلف في مقدمة كتابه إلى الدافع لتأليفه؛ فقال: "وإني قد رأيت أن أذكر في هذا التقييد من عرف من العلماء ببجاية في هذه المائة السابعة...أذكر منهم من اشتهر ذكره، ونبل قدره وظهرت جلالته، وعرفت مرتبته في العلم ومكانته" ويضيف لاحقا فيقول: "ثم أتلوهم بذكر مشيختي وأعلام إفادتي ثم أتلوهم بمن سواهم إلى أن يقع الإتيان على جميعهم"(الغبريني أ.1981م:ص5) ، وكان الانتهاء من تأليفه سنة 699هـ/1299م.

يبلغ عدد التراجم الواردة في كتاب عنوان الدراية 149 ترجمة، ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أصناف هي:

أ- تراجم البجائيين والجزائريين ومن يتصل بهم.

ب- تراجم الأندلسيين المهاجرين إلى بجاية ونواحيها.

ج- تراجم الغرباء الوافدين على بجاية ونواحيها من بلاد المشرق(الغبريني أ.1981م:ص36).

3- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية: لمؤلفه أبو الحسن علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي الذي كان حيا في النصف الأول من القرن الثامن الهجري.

الكتاب كما يبدو جليا من خلال عنوان خاص بالدولة المرينية، ويؤكد المؤلف ذلك في مقدمته حيث دوافع تأليفه لهذا الكتاب فيقول: "وأني لما رأيت الخلافة العبد الحقية العثمانية باهرة...أردت خدمة جلالها، والتقرب إلى كمالها..بتأليف كتاب أؤرخ فيه أيام الدولة السعيدة المرينية العبد الحقية، أخلد فيه محاسنها وأسطر مآثرها، وأذكر غزواتهم وفتوحاتهم، ومناقبهم الجميلة وآثارهم، وما رسموه من المراسم، وبنوه من المدائن، وفتحوه من البلاد، وما ملكوه من الأقاليم، وما وقع من الحوادث في الوجود في أيامهم"،

وقد المؤلف على ما شاهده وقيده وما رواه عمن يثق بهم الأشياخ والثقات من أهل العلم بالتاريخ وأيام الناس والمعرفة بالأنساب(ابن أبي زرع ع.1972م:ص11).

قسم المؤلف كتابه إلى عشرة أبواب خصص الأول منها لذكر نسب بني مرين وقبائلهم ودخولهم المغرب وظهور ملكهم أما الأبواب الأخرى فقد أفرد كل واحد منها للحديث عن أحد حكام الدولة المرينية (ابن أبي زرع ع.1972م:ص11- 12).

يتوسع المؤلف في عرض موضوعات الكتاب على طريقة الحوليات، ويتخلل ذلك ذكر الوفيات والأحداث داخل المغرب وخارجه، وفي أثناء عروضه يورد بعض المعلومات والتدقيقات التي ينفرد بها، كما يثبت نصوصًا وثائقية وأشعارًا موضوعية(المنوني م.1404هـ- 1985م:ص70- 71).

بناء على كل ما سبق ذكره؛ فإن الكتاب هام جدًّا، وبخاصة في التأريخ لدولة بني مرين، ومن ثمّ للدول التي كانت على عهدها، وعلى علاقة وطيدة بها مثل بلاد الأندلس والدولتين الزيانية والحفصية.

4- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لابن قنفد القسنطيني، وهو أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الشهير بابن الخطيب المتوفى عام 809هـ/1406م.

عاش ابن قنفد القسنطيني في المغربين الأوسط والأقصى، وأخذ العلم عن أشهر علماء تلمسان والمغرب، ودامت رحلته في المغرب الأقصى حوالي ثمانية عشر عاما، أي من سنة 759 إلى سنة 776م/1357- 1374م، زار خلالها العديد من المدن، ولقي كثيرًا من علماء المغرب وأخذ عنهم، كما زار أضرحة الصالحين(ابن قنفد أ.1403هـ- 1983م:ص10- 11).

عاد أحمد إلى إفريقية، ومنها إلى قسنطينة التي تولى بها وظائف الإفتاء والقضاء والخطابة، واشتغل بالتدريس والتأليف، وظلّ خلال ذلك على اتصال وثيق بالأمراء الحفصيين في مسقط رأسه.

ترك ابن قنفد مصنفات عديدة، ومنها الكتاب الموسوم بـ"الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية" الذي انتهى من تأليفه في أوائل سنة 806هـ/1403م، وخصّصه لتاريخ الدولة الحفصية، وقدمه للسلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز.

بدأ ابن قنفد كتابه بذكر تأسيس الدولة الحفصية، وانتهى به إلى عهد أبي فارس عبد العزيز (796- 839هـ/1334- 1376م)، واستعرض فيه بإيجاز وتركيز الحكام الحفصيين؛ فحدّد تاريخ ولادتهم، وتعرّض إلى أهم ما وقع على عهدهم دون أن يهمل صلة أسرته وعلاقتها ببعض الحكام الحفصيين.

تضمنت الفارسية معلومات مهمة عن الحكام الحفصيين، وما عرفته البلاد على عهدهم من حروب وحركات تمرد، وقد خصّ عهد أبي فارس بعناية أكثر؛ فركز على أهم الأحداث التي وقعت في عهده، مثل نقض البيعة من طرف سكان بجاية وقسنطينة وعنابة وبسكرة، والقضاء على إمارة بني مزني بالزيبان والأوراس، واحتلال النصارى لدلس، ونزولهم بالقل، ومهاجمتهم لمدينة عنابة، كما أعطى المؤلف أخبار قسنطينة مكانة هامة(سعيدوني ن.1999م:ص228- 230).

يورد المؤلف في بداية كتابه أخبارا عن قيام دولة الموحدين وحكامها الأوائل، ثم يتطرق إلى الدولة الحفصية في شكل حوليات تنتهي أوائل عام 806هـ/1403م، وتتخلل

الكتاب أخبار عن المغرب وعلاقات حكامها (المرينيين) مع حكام الدولة الحفصية(المنوني م.1404هـ- 1985م:ج1 ص70- 71).

يعتبر كتاب الفارسية من المصادر الأساسية لتاريخ دولة بني حفص رغم اختصاره(سعيدوني ن.1999م:ص230).

5- **كتاب قضاة قرطبة وعلماء إفريقية**: ومؤلفه أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني الأندلسي، تفقه بالقيروان ثم رحل إلى الأندلس وهو في الثانية عشر من عمره واستوطن قرطبة.

ولي خطة المواريث ببجّانة والشورى بقرطبة(الخشني م.1415هـ- 1994م:ص6- 7)، وتوفي بها سنة 361هـ/971م.

قال الحميدي في جذوة المقتبس: "محمد بن حارث الخشني من أهل العلم والفضل، فقيه محدّث، جمع كتابا في "أخبار القضاة بالأندلس"، وكتابا آخر في "الفقهاء والمحدثين"(الحميدي ف.1425هـ- 2004م:ص59).

يضم هذا الكتاب تراجم للقضاة الذين تعاقبوا على بلاد الأندلس منذ عهد الولاة، وحتى عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله، وكان هدف الخشني من تأليفه هو خدمة طبقة القضاة، وإرشادهم في حلّ القضايا، وذلك من خلال عرض نموذجي لممارسة القضاة في مناصبهم، ومن خلال قيامهم بمهمة القضاء(الخشني م.1415هـ- 1994م:ص187)، وعلى الرغم من أنه لا يعتبر كتابا تاريخيا بمعنى الكلمة إلا أنه مهم جدا في معرفة الحياة الاجتماعية في الأندلس على عهد الأمويين إذ كثيرا ما يشير إلى عادات الأندلسيين ولباسهم ولغتهم، كما يعطينا الخشني في كتابه معلومات قيمة عن نظام القضاء في الأندلس، ويقارن بينه وبين نظام القضاء في المشرق(الخشني م.1415هـ- 1994م:ص ص13- 176).

وفي القسم الثاني من الكتاب ذكر للفقهاء والمحدثين بإفريقية، ويتضمن ترجمة وافية لـ208 من علماء إفريقية، وهو مهم جدًا في معرفة الحياة العلمية والاجتماعية بإفريقية(الخشني م.1415هـ- 1994م:صص178- 311).

نشر القسم الأول من الكتاب، وترجمه إلى اللغة الأسبانية المستشرق الأسباني خوليان ريبيرا عام 1914م، وقد اعتمد في ذلك على نسخة المخطوطة الوحيدة المحفوظة بمكتبة أكسفورد، أما القسم الثاني فقد نشره محمد بن أبي شنب في نفس العام، ونشر بعدهما في سفر واحد من طرف السيد عزت العطار الحسيني بالقاهرة عام 1953م.

6- **طبقات علماء إفريقية وتونس** لمؤلفه أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام بن تميم التميمي القيرواني المؤرخ، المتوفى في ذي القعدة سنة 333هـ/944م(الدباغ ع.1426هـ- 2005م:ج3 ص40)، الذي بلغت عدّة شيوخه مائة وخمسة وعشرين شيخًا، وكان فقيهًا صالحًا متواضعًا، كثير الإيثار، ثقة ثبتًا، صحيح التقييد، ضابط الرواية، كثير التآليف والمشايخ، وقال غيره: كان أبو العرب إمام عصره وواحد دهره، دأب في طلب العلم، وبرع فيه براعة فاق فيه من تقدّمه من رجال إفريقية، وهو رافع لواء التاريخ بإفريقية مع تقدمه في علم الأثر، وبصره بالفقه ومعاني الحديث، ألف كتبًا مفيدة كثيرة، وألف طبقات علماء إفريقية وكتاب عُبّاد إفريقية، وكتاب التاريخ سبعة عشر جزءًا، وكتاب المحن(الدباغ ع.1426هـ- 2005م:ج3 ص36- 37)، وقال أبو بكر

المالكي: "كانت أوصافه أوسع من أن يحملها كتاب"(المالكي ع.1414هـ- 1994م:ج2 ص306- 307).

يقول مُحقّقا الكتاب: "من الواضح أن كتاب طبقات علماء إفريقية وتونس وصل إلينا مختصراً عن طريق الطلمنكي، وقد نشر هذا الكتاب الباحث محمد بن أبي شنب سنة 1914م دون تحقيق يذكر؛ فلم يُصوِّب النص حين يجب التصويب، ولا وقف عند سلاسل النص التي يزخر بها الكتاب، وأكثر من هذا فقد أثبت أقوال الخشني في صلب النص ليزيد من تفككه واضطرابه".

وعن أهمية الكتاب يضيفان أن "الكتاب بصورته الحالية يحوي مجموعة من التراجم لعلماء القيروان وتونس في أسلوب علمي سهل، يطغى عليه طابع الآمالي، وكان من نتائجه التكرار اللفظي والجملي لبعض العبارات، وكان المؤلف يعتني عناية بالغة بالسند".

أهدى الطلمنكي وهو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى المعافري الطلمنكي، أصله من طلمنكة الواقة شمال شرقي مجريط، سكن قرطبة وتتلمذ على يد علمائها، وغيرهم من علماء بلاد الأندلس، ثم رحل إلى المشرق فحجّ، ولقي علماء مكة والمدينة المنورة ومصر، وفي طريق عودته توقف بالقيروان، ولقي أبا محمد بن أبي زيد القيرواني وغيره، وانصرف إلى الأندلس بعلم كثير، واختصر كتاب الطبقات وأهداه إلى الخشني، وكانت وفاته في ذي الحجة سنة 429هـ/1037م(ابن بشكوال خ.1423هـ- 2003م:ج1 ص52- 53/أبو العرب م.1985م:ص30) مختصره إلى الخشني تلميذ أبي العرب تميم؛ فأضاف إليه الكثير من أقواله، وهي الأقوال التي أثبتها ابن أبي شنب في صلب الكتاب(أبو العرب، م.1985م: ص28- 30).

يتضمن الكتاب ما جاء من الفضائل في إفريقية(أبو العرب، م.1985م:صص43- 64)، وذكر من دخل إفريقية من الصحابة والتابعين(أبو العرب، م.1985م:صص65- 72)، وتسمية من دخل إفريقية من أصحاب النبي عليه السلام، ومن رآه وإن لم يكن صحبه(أبو العرب، م.1985م:صص73- 78)، وتسمية من دخل إفريقية من جلة التابعين(أبو العرب، م.1985م:ص79- 83)، والطبقة الثانية ممن دخل إفريقية أو كان بها من أهلها(أبو العرب، م.1985م:ص84- 95)، ثم يترجم للرواة عن الجلةٍ من التابعين، ثم من أهل إفريقية، وبلغ عدد المترجم لهم مائة وأربة عشر عالما(أبو العرب، م.1985م:صص95- 226).

يكتسي كتاب طبقات علماء إفريقية وتونس أهمية كبرى باعتباره من أقدم كتب التراجم التي دونها العلماء المغاربة، وقد ذكر فيه مؤلفه البدايات الأولى للحركة العلمية بإفريقية والقيروان التي كانت واحدة من المراكز العلمية الكبرى في العالم الإسلامي، كما تضمن الكتاب معلومات هامة عن المراحل الأولى للفتح الإسلامي ببلاد إفريقية، وبخاصة منها حملة عقبة بن نافع الفهري، وتأسيس مدينة القيروان.

7- كتاب "**نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**"، والمعروف أيضا بالرحلة الورثلانية من أهم أعمال الحسين بن محمد السعيد الورثلاني(1125- 1193هـ/1713- 1779م)، وقد سجل فيه المحطات البارزة التي مرّ بها في تلك الرحلات التي قام بها انطلاقا من بلده لأداء مناسك الحج، كما دوّن فيها رحلاته داخل بلده.

امتدت رحلته من بلده إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة مرورًا بشرق الجزائر وجنوبها الشرقي، ثم تونس؛ فسواحل ليبيا فمصر؛ فساحل البحر الأحمر إلى شبه الجزيرة العربية، وسجل خلال تلك الرحلة كل ما شاهده في طريقه سواء تعلق الأمر بركب الحج أو بالحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية للبلاد التي مرّ بها.

وقد اعتمد في تدوين هذه الرحلة على مشاهداته اليومية، والتي سجل فيها ما رآه خلال الرحلة من مدن وشعوب وعلماء وعادات وتقاليد، كما اعتمد على كثير من المصادر الأخرى المكتوبة والشفوية.

أوضح الحسين الورثلاني في مقدمة كتابه دوافع تأليفه حيث يقول: "فإني لما تعلق قلبي بتلك الرسوم والآثار والرباع، والقفار والديار والمواطن، والمياه والبساتين، والأرياف والقرى، والمزارع والأمصار، والعلماء والفضلاء والنجباء والأدباء من كل مكان من الفقهاء والمحدثين والمفسرين الأخيار، والأشياخ العارفين والإخوان، والمحبين المحبوبين..من المشرق والمغرب...أنشأت رحلة عظيمة يستعظمها البادي، ويستحسنها الشادي؛ فإنها تزهو بمحاسنها عن كثير من كتب الأخبار، مبينا فيها بعض الأحكام الغريبة والحكايات المستحسنة، والغرائب العجيبة، وبعض الأحكام الشرعية مع ما فيها من التصوف"(الورثيلاني، ح.1394هـ- 1974م:ص3).

وكتاب الرحلة هذا نتاج أربع رحلات- قال أبو القاسم سعد الله: "إنّ الورثيلاني حجّ مرتين أو ثلاث مرات الأولى سنة 1153هـ، والثانية سنة 1166هـ، والثالثة سنة 1179هـ"(سعد الله، أ.1985م:ج2 ص409)- قام بها الحسين الورثيلاني لأداء فريضة الحج، وذكرها ضمن صفحات مؤلفه، وهي مرتبة كما يلي: الحجّة الأولى مع الوالد سنة 1153هـ/1740م، قال المؤلف: "وفي تلك الحجة وهي عام ثلاثة وخمسين ومائة وألف ذهب معنا العلامة الفاضل..."(الورثيلاني، ح.1394هـ- 1974م:ص119)، والحجّة الثانية سنة 1166هـ/1752م، قال الحسين الورثيلاني: "وفي رحلتنا للحرمين الشريفين سنة ست وتسعين [ومائة] وألف"(الورثيلاني، ح.1394هـ- 1974م:ص151)، والحجّة الثالثة سنة 1176هـ/1762م، قال الحسين الورثيلاني: "وكان في حجّتنا الأولى التي حججناها مع الوالد عام ستة وسبعين [ومائة] وألف"(الورثيلاني، ح.1394هـ- 1974م:ص91)، والحجّة الرابعة في عام 1179هـ/1765م، قال المؤلف: "لما أراد الله المشي منا إلى الحج وقد سبق في علم الله أن يكون حجنا في عام تسعة وسبعين ومائة وألف مع إجابة وتلبية للخليل عليه السلام"(الورثيلاني، ح.1394هـ- 1974م:ص4).

وكان الفراغ من نسخها ضحى يوم الإثنين الفاتح لشهر شعبان عام 1182هـ /1768م(الورثيلاني، ح.1394هـ- 1974م:ص713)، أي ثلاث سنوات بعد انتهاء الحجة الرابعة التي كانت عام 1179هـ/1765م.

يكتسي كتاب رحلة الورثلاني أهمية كبيرة نظرًا لقيمة المعلومات التي احتواها، والتي اعتمد فيها مؤلفها على عدد ضخم من المصادر المكتوبة والشفوية إضافة إلى مشاهداته الخاصة، وبذلك فقد قدم لنا صورة مكتملة عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي ميزت عصره فضلا عن الأخبار المتعلقة بتاريخ المغرب، وبعض بلدان المشرق التي زارها، والتي ستمكن الباحثين المختصين في تاريخ هذه المناطق من الإلمام بكثير من جوانبها.

يعد هذا الكتاب مصدرًا أساسيا لدراسة أحوال بلاد المسلمين الواقعة على طريق ركب الحج، كما يفيد كثيرًا في دراسة تاريخ بلاد المغرب، وبخاصة في العصر الوسيط نظرًا لاعتماد المؤلف على مصادر أكثرها في حكم المفقود، ومنها على وجه الخصوص كتاب النبذ المحتاجة في ملوك صنهاجة لابن حمادوه الصنهاجي، وكتاب عقود الجمان في مختصر أخبار الزمان للشاطبي، وكتاب شرح الشقراطسية لابن الشباط التوزري، وكتاب الأدلة السنية النورانية على مفاخر الدولة الحفصية.

8- كتاب **طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار:** لأبي حامد محمد العربي بن عبد القادر بن علي المَشْرِفي الحسني المتوفى سنة 1313هـ/1895م ، وهو مؤرخ وأديب ونسابة، من أهل قرية الكرط من ضواحي معسكر، تعلم بوهران، وهاجر إلى المغرب الأقصى بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر؛ فأخذ عن جماعة من كبار العلماء، ومن آثاره "ياقوتة النسب الوهّاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولاي مجاجة"، و"ذخيرة الأواخر والأول فيما يتضمن من أخبار الدول"، و"نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار"، وغيرها من المؤلفات. نويهض ع.1403هـ-1983م:ص303- 304).

ويؤكد ذلك ما جاء في مقدمة الكتاب التي جاء فيها: "يقول عبيد المولى العلي محمد العربي بن عبد القادر بن علي المشريفي نسبا الغريسي وطنا ومنشأ، الأشعري مذهبا واعتقاد"(المشريفي م.1ظ) ، وعن عنوانه يقول المؤلف: "وسميته طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار"(المشريفي م.3ظ).

وعن محتويات الكتاب يقول المؤلف: "وجمعته في سبعة فصول وخاتمة:

الفصل الأول: في سبب قيام هذا الجيش من الأفرنج، وهو الفرنصيص دمره الله، وخروجه للجزائر من سيدي فرج.

الفصل الثاني: في ذكر السنة التي خرج فيها للجزائر، وما وقع بينه وبين الأتراك من حروب، وفي كم دخل المدينة، وافترقت للمسلمين الحروب.

الفصل الثالث: ذكر دخوله وهران، ومن قاده لها حتى فرّق بالتشتيت أهلها، وأظلم في مدينتهم الجو، وأزعجوا من كثرة ما لقوا...

الفصل الرابع: في ذكر نفور المسلمين أهل غريس وبني عامر ومن والاهم، واتفاقهم على قتاله بالأمير رغبة في الجهاد.

الفصل الخامس: ذكر مبايعة الحاج عبد القادر على الجهاد لأن يكون على الجيش أميرًا...، وفي عدة الوقائع التي وقعت بين المسلمين والكفار حول الجزائر ووهران، ومن مات فيها من الأخيار.

الفصل السادس: في سبب استيلاء الفرنصيص أذلّه الله وكسر شوكته على عمالة هذه الواسطة من تونس والقيروان إلى وجدة، وسبب تشتيت هذه العربان حاضرة وبادية في الأوطان.

الفصل السابع: في كيفية من عاير أخاه المؤمن بالتنصر في الدعوى، وهو أسير حزين مفتون بهذه البلوى(المشريفي م.3و- 4ظ).

وفي الخاتمة يتحدث عن الإمامة وكونها واجبة كطلب العلم وزيارة الكعبة، والشروط التي يجب توافرها في الإمام أو الخليفة، ويذيل المؤلف كتابه بقصيدة من نظمه

في "ذم من أبغضنا أو أبغض جميع المسلمين"(عنان م.- 1421هـ/2000م- ج2 ص719- 720/ابن سودة المرّي ع.1418هـ/1997م:ص320).

يعتبر هذا الكتاب مصدرًا هامًا من مصادر تاريخ الجزائر في النصف الأول من القرن التاسع عشر إذ عايش صاحبه نهاية الوجود التركي، وبداية الاستدمار الفرنسي للجزائر، وكان شاهد عيان نقل من خلال مؤلفه الأحداث التي وقعت بالجزائر بين أهلها والغزاة الفرنسيين.

منهج ابن أبي شنب في تحقيقه للتراث التاريخي العربي: من خلال القيام بمطالعة بعض المصادر التي حققها محمد بن أبي شنب يمكن استنتاج المنهج الذي اعتمده في التحقيق، وهو منهج لا يختلف كثيرًا عن منهج المستشرقين، ويقوم على الخطوات التالية:

1- كتاب عنوان الدراية للغبريني: يبدأ محمد بن أبي شنب هذا المؤلف بمقدمة مختصرة لا تزيد عن صفحة واحدة ضمّنها بعد الحمدلة والبسملة، والصلاة على سيد المرسلين، ذكرًا لعنوان الكتاب حيث يقول: "فإن هذا الكتاب المسمى "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية".

ثم يذكر مؤلفه فيقول إنه: "للعلامة المحقق والفهامة المدقق الجامع بين الدراية والرواية، قاضي القضاة ببجاية، الشيخ أبي العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني رحمه الله ورضي عنه"، وعن محتواه يقول: "أورد فيه مؤلفه من تراجم علماء عصره وأخبار أحبار مصره ما يحتاجه المتشوق إلى فرائد الفوائد والمتشوف إلى أوابد العوائد مع ذكره وفياتهم ومؤلفاتهم وسيرهم في مذاهبهم وعاداتهم واستطراد الأحاديث الشريفة والآثار الصالحة المنيفة والمباحث الفقهية والفتاوى الشرعية وغير ذلك مما لا يحصى ولا من غيره يستقصى".

ويُعقب بذكر النسخ التي اعتمد عليها في إنجاز عمله حيث اعتمد المحقق على أربع نسخ: الأولى للمكتبة الدولية الجزائرية، والثانية للفقيه عبد الرزاق الأشرف قاضي باتنة، والثالثة للعلامة علي بن الحاج موسى الإمام بمسجد ضريح عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر، والرابعة للفقيه أبي القاسم محمد الحفناوي المدرّس بالجامع الأعظم بالجزائر، ويختم المقدمة بقوله: "هذا وقد بذلنا غاية الجهد في تصحيح التحريف، وتصويب التصحيف"(الغبريني أ.2007م:ص5).

ثم يورد نص الكتاب، ويختمه بفهرس يتضمن محتويات الكتاب، ويكتفي طيلة ذلك بإيراد بعض الاختلافات الموجودة بين النسخ المعتمدة في التحقيق على غرار ما يقوم به المستشرقون أثناء عملية نشر التراث العربي.

ومما يتميز به محمد بن أبي شنب تمكنه الجيّد من قراءة النصوص على عكس رابح بونار الذي أوجد ترجمة لعالم لم يترجم له الغبريني- ويتعلق الأمر بترجمة أبي محمد عبد الحق الأزدي الإشبيلي(الغبريني أ.2007م:ص193)، بل جعله أحد الشيوخ الذين أخذ عنهم الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي، والذي ينسب إليه مؤلفات تعود إلى هذا الأخير، ومنها كتاب "النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة بإفريقية وبجاية".

قال الغبريني: قرأ ببلده القلعة، وكانت حاضرة علم، وقرأ ببجاية، ولقي بها جلة منهم الشيخ أبو مدين...، ومنهم القاضي المحدث العالم أبو محمد عبد الحق الأزدي الإشبيلي"(الغبريني أ.1981م:ص193/الغبريني أ.2007م:ص101).

2- كتاب **البستان** لابن مريم: وتتضمن مقدمة موجزة تحتوي على ذكر عنوان الكتاب واسم مؤلفه، وموضوعه الأساسي الذي يقول عنه: إنه "من أعظم المؤلفات في تراجم العلماء السادات"، ثم يذكر النسخ المعتمدة في التحقيق، وعددها ثمانية نسخ ذكر ابن أبي شنب أماكن تواجدها أو أصحابها، وذكر أنه راجع "زيادة في تحرّي التصحيح" بعض الأصول التي نقل منها المؤلف، ومنها "نيل الابتهاج" لأحمد بابا التنبكتي، و"بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" لأبي زكرياء يحي بن خلدون، و"روضة النسرين في دولة بني مرين" لابن الأحمر، و"كتاب الوفيات" للخطيب القسنطيني وغيرها(ابن مريم م.1986م:ص4).

ثم يورد نص الكتاب مع تعليقات قليلة تتضمن بعض الاختلافات بين النسخ، ثم يلحق بالكتاب مجموعة من الفهارس تتضمن ما يلي:

الفهرست الأول في التراجم(ابن مريم م.1986م:صص1- 7)، والفهرست الثاني في أسماء الرجال والنساء(ابن مريم م.1986م:صص8- 36)، والفهرست الثالث في أسماء الأماكن والبلدان والجبال والأنهار(ابن مريم م.1986م:صص37- 43)، والفهرست الرابع في أسماء الكتب(ابن مريم م.1986م:صص43- 63).

3- كتاب **طبقات علماء إفريقية** لأبي العرب و**طبقات علماء إفريقية** للخشني: قام محمد بن أبي شنب بنشر هذين الكتابين مع بعضهما في مطبعة سنة ورتبهما على سبعة أجزاء خصص الأجزاء من 1 إلى 3 لكتاب أبي العرب، والأجزاء من 4 إلى 6 لكتاب الخشني، ثم يعود في الجزء السابع إلى كتاب أبي العرب تميم.

انتهج ابن أبي شنب منهجًا مختلفا مقارنة بالكتاب السابق حيث نجده في تحقيقه هذا يُصوب الكثير من المعلومات بالاعتماد على مصادر أخرى أبرزها كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ومعالم الإيمان لابن ناجي، والمؤنس في أخبار إفريقية وتونس لابن أبي دينار القيرواني، والديباج المذهب لابن فرحون وصورة الأرض لابن حوقل المسالك والممالك لأبي عبيد البكري.

نلاحظ أيضًا أنه قد ألحق كثيرًا من الإضافات الواردة في الهوامش بالمتن، وهو يشير إلى ذلك في الإحالات مثل ما هو الحال في الصفحة 44، والصفحات 47- 49، والصفحات 107- 109، ويستعمل في ذلك عبارة Renvoi Marginal.

نلاحظ أيضا أن الإحالات كتبت كلها باللغة الفرنسية مع كتابة الكلمات المتعلقة بالمتن باللغة العربية.

لا يقوم المحقق بشرح الكلمات الصعبة، ومثال ذلك كلمة قتامًا الواردة في الصفحة 11، والقَتَام والقتم الغبار الأسود(مجمع اللغة العربية لجمهورية مصر العربية.1426هـ/2005م:ص715).

ومن الملاحظات أيضا قيام المحقق بتحريك الأبيات الشعرية الواردة في المخطوطتين إضافة إلى ذكر بحور هذه الأبيات، وعلى العكس من ذلك فهو لا يحرّك الأحاديث النبوية، وهو أمر مطلوب علميًا حتى تقرأ بشكل صحيح.

نلاحظ أيضا أن المحقق يشير إلى الفراغات الواردة في المتن (بياض أو طمس)، ولكنه لا يقوم بسدّها اعتمادًا على المصادر المعاصرة أو اللاحقة للمؤلف.

إضافة فقرات كتبت على الهامش وبخط مغاير إلى المتن، والإشارة إلى ذلك في الإحالات كما هو الحال في الإحالة 1 ص101، والإحالة 2 ص135، والإحالة 1 ص151، بينما كان يفترض أن تكتب الإضافة في الإحالة على اعتبار أنها زيادة من الناسخ، وليست من كلام المؤلف.

ومع ذلك فإن ابن أبي شنب قد فرّق بين ما هو من المتن، وما هو مضاف من الهامش على عكس عزت العطار الحسيني الذي لا يشير البتة إلى ذلك(عزت العطار الحسيني ع.ع.1415هـ- 1994م:ص236/أبو العرب ت.1985م:صص199- 210).

نَشرُ الجزء السابع من كتاب طبقات علماء إفريقية لأبي العرب تميم الذي لم ينشره عزت العطار الحسيني على عكس علي الشابي ونعيم حسن اليافي اللذين نشرا هذا الجزء(أبو العرب ت.1985م:صص212- 226).

إلحاق جملة من الفهارس في آخر الكتاب وهي:

فهرست أقسام الكتاب- ص257.

فهرست أسماء الرجال والنساء- صص 259- 290.

فهرست الأبيات الشعرية- ص291.

فهرست الأماكن- صص 292- 294.

فهرست أسماء الكتب- ص 295- 296.

فهرست أسماء القبائل- ص 297.

بيان الخطأ والصواب في مطبوع هذا الكتاب: ص 298- 300.

خاتمة: من خلال ما ذكرناه سابقا؛ فإن محمد بن أبي شنب قد ساهم مساهمة فعالة في إحياء التراث العربي على غرار ما قام به المستشرقون، ووفر للباحثين جملة من المصادر التي تعد ضرورية لهم من أجل إنجاز بحوثهم.

وتبرز أهمية ما قام به ابن أبي شنب من خلال قيمة الكتب التي قام بتحقيقها ونشرها؛ فكتاب الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية يعتبر من المصادر الأساسية في دراسة دولتي بني مرين وبني عبد الوادي، كما أن كتاب عنوان الدراية يعتبر من المصادر الأساسية، بل من المصادر الفريدة في دراسة الحركة العلمية والثقافية في مدينة بجاية خاصة، والمغرب الإسلامي عامة خلال المائة السابعة التي عاصرها أبو العباس الغبريني، ويعد كتاب نزهة الأنظار للحسين الورثيلاني مصدرًا تاريخيًا وجغرافيًا وثقافيًا لا يمكن الاستغناء عنه لدراسة أوضاع جزء من العالم الإسلامي (المغرب الأوسط- إفريقية- ليبيا- مصر- شبه الجزيرة العربية) الذي زاره المؤلف في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري (القرن الثامن عشر الميلادي).

وعلى العموم، وبالرغم من بعض النقائص التي تلاحظ على منهج التحقيق المستعمل من قبل محمد بن أبي شنب الذي اقتدى بالمنهج المتعارف عليه في عصره من طرف المتخصصين في تحقيق ونشر التراث العربي الإسلامي من المستشرقين؛ فإنه أثرى المكتبات بجملة من المصادر التي ساهمت من دون شك في إماطة اللثام عن كثير من الجوانب التي كانت مجهولة من تاريخ البلاد التي تعلق بها موضوع هذه المخطوطات.

مصادر ومراجع البحث:

1- ابن أبي زرع أبو الحسن علي، 1972م- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية- تحقيق عبد الوهاب بن منصور- الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة.

2- ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك، 1423هـ/2003م- كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس- تحقيق صلاح الدين الهواري- ط1- صيدا- بيروت: المكتبة العصرية.

3- بويكا ك، 1999م- المصادر التاريخية العربية في الأندلس- دمشق: منشورات دار علاء الدين.

4- الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر فتوح، 1425هـ- 2004م- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس- تحقيق صلاح الدين الهواري- بيروت- صيدا: المكتبة العصرية.

5- الخشني محمد بن حارث، 1415هـ- 1994م- قضاة قرطبة وعلماء إفريقية- تحقيق السيد عزت العطار الحسيني- القاهرة: مكتبة الخانجي.

6- الدباغ عبد الرحمن بن محمد، 1426هـ/2005م- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان- تحقيق عبد المجيد خيالي- ط1- بيروت: دار الكتب العلمية.

7- الزركلي خ.- ماي 1995م- الأعلام- ط11- بيروت: دار العلم للملايين.

8- سعيدوني ناصر الدين، 1999م- من التراث التاريخي والجغرافي- بيروت: دار الغرب الإسلامي.

9- سعد الله أبو القاسم، 1985م- تاريخ الجزائر الثقافي- ط2- الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

10- ابن سودة المري عبد السلام بن عبد القادر ، 1418هـ/1997م- دليل مؤرخ المغرب الأقصى- ط1- بيروت: دار الفكر.

11- أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني، 1985م- طبقات علماء إفريقية وتونس- تقديم وتحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي- ط2- تونس: المؤسسة الوطنية للكتاب- الدار التونسية للنشر.

12- عنان محمد عبد الله ولمبدر عبد العالي وحنشي محمد سعيد، 1421هـ/2000م- مراجعة بنبين أحمد شوقي- فهارس الخزانة الحسنية- الرباط: المطبعة الملكية.

13- الغبريني أبو العباس أحمد- 2007م- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية- تحقيق محمد بن أبي شنب- ط1- الجزائر: دار البصائر.

14- الغبريني أحمد بن أحمد، 1981م- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية- تحقيق رابح بونار- الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

15- ابن قنفد القسنطيني- 1403هـ- 1983م- كتاب الوفيات- تحقيق عادل نويهض- ط4- بيروت: دار الآفاق الجديدة.

16- المالكي عبد الله بن محمد، 1414هـ/1994م- كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية- تحقيق بشير البكوش- ط2- بيروت: دار الغرب الإسلامي.

17- مجمع اللغة العربية لجمهورية مصر العربية- لمعجم الوسيط- مكتبة الشروق الدولية- القاهرة- ط4- 1426هـ/2005م- ص715.

18- ابن مريم محمد بن محمد، 1986م- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان- الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

19- المشرفي أبو حامد محمد العربي بن عبد القادر بن علي- طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار- مخطوط رقم 1476- الرباط: الخزانة الحسنية- المملكة المغربية.

20- المنوني محمد، 1404هـ/1985م- المصادر العربية لتاريخ المغرب- الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

21- نويهض ع.- 1403هـ/1983م- معجم أعلام الجزائر- ط2- بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية.

22- الورثيلاني ح.- 1394هـ- 1974م- نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهور بالرحلة الورثيلانية- ط2- بيروت: دار الكتاب العربي.